في شأن البنادق وخراطيش » وما حاجتها إلى ذلك وليست الطيور من أهدافها ؟

يحكى أن رجلاً سمع قارىء قرآن يقول . وخر عليهم السقف من تحتهم ! فقال له : إن لم تكن تحفظ فهندس ... وهو يريد أن يقول له إن لم تحفظ الآية الكريمة فحكم عقلك لأن السقف إنما يخر من فوق

وإدارة التوريدات كان يجب عليها أن « تهندس » ! فإذا لم تعرف ما هو عمل إدارة التراث وهل يحتاج إلى بندقية بروح أو بروحين ، أو لا شأن لها بذلك — فإن إسم الإدارة « إحياء التراث القديم » كان جديراً أن يمنعها من هذه الرماية الخطئة ...

عباس فضر

الكتب

« كانت لنا أيام »

شعر — المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٤٠ ١٢٨ صفحة

للأستاذ عمر النص

بقلم الدكتور سامي الدهان

أصاب الشعر العربي المعاصر في السنوات الأخيرة ركود مخيف تجاوز كل ركود في عصورنا الأدبية . فسكتت مصر بعد المطران والجارم وعلى محمود طه ، وغاب شبح المهجر ، وتلجلج لسان لبنان ، وأحجمت بلاد الشام فتردد شعراؤها في نشر ما ينتجون ، وراحت الصحف تحمل الفينة بعد الفينة قبساً من قصيد ، ولمعاً من نظيم .

وحار مؤرخ الأدب في تفسير هذه الظاهرة في البلاد العربية

فيدان الشعر ما يزال خصباً قويا ، وبواعث النظم ما تزال ملحة دافقة ، سواء في ذلك ميدان السياسة أو ميدان الاجتماع ، فقد ناضلت البلاد العربية وخرجت من نضالها على بأس مرير ، وحزن قاتم ، فكان هذا وحده باعثاً على خفقات الأسى ولوعات الضلوع والحشى ، في أدب يائس ، كالأدب الرومانتيكي في أوربة.

واف حياتنا الاجتماعية دوار ، واختلفت اليه أمراض فانفتحت كوى واسعة يطل منها الشاعر على سقوط وتخاذل ، وبؤس وشقاء ، جاورت بلاد الشام تخوم العالم الراهم ، فمات العزلة ، وأصبح من في هذه الربوع يشهد نضال أوربة ، وشحناء أمريكة ، والحرب الحارة والباردة — كما يقولون — وانقضت . بين أعيننا صور حرب مثيرة ، ومع ذلك لم نسمع شعراً ولم نقرأ نظماً .

وما أحب أن أعتقد أن هذا كله مر من غير أن يحرك ألسنة شعرائنا ، أو يثير كوامن نفوسهم ، فهم قد نظموا من غير شك وقالوا وأحسنوا القول ، ولكنهم كارهون للنشر ، بعيدون عن الأضواء — فيما أحسب — ، وقد أردت لهم من قبل أن يظهروا على الناس بدواوينهم مطبوعة مبوبة ، يعينون بها الدارس ، ويتيرون بها سبيل الباحث ، ويعبدون الطريق لمن بعدهم ، لا أستثني منهم أحداً ، سواء فيهم الأستاذ شفيق جبري ، أو الأستاذ عدنان مردم بك ، ولا أحب أن أعددهم جميعاً .

وقد فرحت من قبل لديوان (ظلال الأيام) يظهره الأستاذ الشاعر أنور العطار ، فيضيف مأثرة في الشعر . وبين يدي اليوم ديوان (كانت لنا أيام) لشاعر جديد أبادر فأعلن اغتباطي لصدوره ، لأنه يشير إلى أن الحياة بدأت تدب في الشعر الشامي وإلى أن في الشباب من يحلق في جو الشعر ، ويغامر في حلبة النشر ، ويسجل فوزاً في كليهما يستحق التقدير والتنويه .

فالديوان منذ ألفه إلى بائه عاطفي رومانتيكي ، يرسم خلجات الشاعر ، ويعد زفراته ، ويصف أساه وحزنه . ويمضي ذا وبكاءه في قصائد تقارب الثلاثين ، وكلها أسف للأماني الض والشباب الذي يجف ، والحرم الذي يعبث ، وأخيلة المو تخيم ، والشقاء الذي يلوح ، والفراغ الذي يسيطر ، والـ تبدده الرياح . والشاعر على ذلك كله شاب في الربيع

قد أخذ اليأس بجوانب نفسه ، وتملك الألم بنياط قلبه، فتمنى الموت فى كل سطر، وانتظر القبر فى كل شطر ، ولاحله الشقاء فى كل صفحة ، وهو يجرى وراء (ليلاه) فيقول : ص ٥٨

وما الكون ان أنا أنسيتها وما أنا إن كنت لا أذكر

فو الهناء ضاع صبايا

ياظلام الأقدار رد صبايا

أرقصوا ارقصوا على جدث الحا

م وصبوا الشراب فوق ثرايا

فى فضائى نحوس أخيلة المو

ت وفى خافقى أحس شقايا

٥٢ - وجف الشباب سباب المنى

وعاث به الهرم المبكر

٥٥ وما الغد ؟ ما نحن ؟ ما

الأمنيات وأى مصير لنا يذخر

ويقول أحسن من هذا كله فى الصفحة(٤٦)والصفحة(٥٩) مما لا أستطيع روايته كله ، وإنما أحيل القارىء اليه ليرى قوة وبياناً وشاهداً على ما أقول .

والغريب أن الأستاذ « عمر النص » شاعر الديوان يصف نفسه فى يأس وحزن عجيبين فيقول :

ص ١١١ أنا تائه فى شباب الوجود

أفتش عن أفق أوسع

أفتش عن نغم لا يموت

وأبحث فى الأرض عن مضجع

إلى أن يبلغ حدود الموت فيقول :

إنه مات فاتركيه مسجى

بملأ الشوق روحه وعيونه

٥٦ رماد أنا بددته الرياح

فهل أستقر وهل أنشر ؟

وإنى لأجد الشاعر الشاب فى مدرسة فوزى المعلوف وأبى القاسم الشابى ، وأجد فى شعره صورة من شعر الشقاء والألم الذى كان ينطق فى كل بيت من أبيات الراحلين ، وأرى قصيدته اللامية أقرب إلى قصيدة « شاعر طيارة » لفوزى المعلوف ، إذ يقول :

ص ٣٩ لا تراعى فليس غير شقى

يشرب الدمع بكرة وأصيلا

جاء يبكي على تراب أبيه

ويروى الثرى دماً مطلولا

ويقول : ص ٧

الربيع الذى أؤمل ولى

فى ذهول ورقبة واشتياق

أنا شيخ أدب فى شعب الأر

ض وأهذى بغربتى وفراق

وما أحب أن أوازن بينه وبين هذين الشاعرين فليس هذا محله ، وإنما أنشأت لأعرف بالديوان وصاحبه ، وأقدم هذا اللون من الشباب الهرم ، والحب الحزين — إذا صحت هذه التعابير — فى أسلوب مشرق ، وعبارة فصيحة لا تند عن عمود العربية ، ولا تبعد عن فصيحها ، فى وحدة للقصيدة ، ومنهاج بين، وقافية مسلسلة، لولا أن الشاعر شد على نفسه الآفاق الأخرى — وهى بكثرة — وجعل تحليقه فى ميدان روحه ، و نفسه فضاء .

ولعله فعل ليبدأ بنفسه ثم يثنى بما حوله ، ثم يعلو إلى فضاء الانسانية جمعاء ، ويقوم برسالة الشاعر على الوجه الذى يفهمه الغربى اليوم، فيحس بآلام امة قلقة حالمة شرود ، ويصور حزن شعب فقد الثقة بنفسه وبأصدقائه وبرسم البيت السوى مخيره وشره . ولكنه كثير على شاب ما يزال فى الربيع ، فلنبارك الخطوة الأولى ، ولنثن على ما بذل فى سبيلها من جهد فى الشعر والنثر ، إنه بذلك جدير .

الدكتور سامى الدهان